المحور الأول	ماهية علم السكان
المحاضرة الأولى	مفهوم علم السكان وعوامل نشأته وتطوره

المحاضرة الأولى: مفهوم علم السكان وعوامل نشأته وتطوره

تمهيد:

من المتعارف عليه في الأوساط الأكاديمية أن علم السكان أو الديموغرافيا هو علم موضوعه سكان المجتمعات البشرية، إلا أن هذا التصور يعد غير كاف للتعرف على مضمون هذا العلم، ولتجاوز هذه الفكرة العامة عن علم السكان نتناول في هذه المحاضرة مفهومه، وعوامل نشأته وتطوره عبر التاريخ، إضافة إلى أهميته.....

1) مفهوم الديمغرافيا:

يمثل علم السكان أو الدراسات السكانية أو الديموغرافيا الطريقة المبدئية لفهم المجتمع البشري، والديموغرافيا في الأصل هي كلمة إغريقية مكونة من مقطعين هما: **Demos** وتعني **سكان**، و **Graphic** وتعني **صورة أو صورة**، وبذلك تصبح الكلمة كاملة **حركة السكان أو صورة السكان**، المعروف بعلم السكّان؛ وهي عبارة عن دراسة لمجموعة من خصائص السكّان الكميّة كالكثافة السكانيّة، والتّوزيع، والنموّ، والحجم، وهيكليّة السكّان، بالإضافة إلى الخصائص النوعيّة كالعوامل الاجتماعيّة، والاقتصادية، مثل: التّنمية، والتّعليم، والتّغذية، والثّروة، حيث هناك من يعرفها بأنها: " الإحصاءات التي تشمل الدّخل، والمواليد، والوفيات، وغيرها ممّا يُساهم في توضيح التغيُّرات البشريّة"، فهذا العلم الذي يعني وصف البشر يستهدف تفسير وتبرير التطورات التي يتعرض لها البشر نتيجة للوقائع الديموغرافية المختلفة أكثر من مجرد جمع البيانات والإحصائيات.

وقد أخذت الديمغرافيا عدة مسميات قبل وصولها للاسم الحالي، منها الإحصاء الحيوي والمورفولوجيا الاجتماعية، حيث أطلق **إيميل دوركايم** هذا اللفظ **(المورفولوجيا الاجتماعية أو علم التشكل)** على الدراسات السكانية التي تختص بأشكال المجتمعات وصيغها المادية ومكوناتها الرئيسية، وتوزيعها الجغرافي، وحركيتها، وأنماط المساكن والإقامات وغيرها....

المحور الأول	ماهية علم السكان
المحاضرة الأولى	مفهوم علم السكان وعوامل نشأته وتطوره

ومن التّعريفات الأخرى لها أنها "علم إحصائيّ اجتماعيّ وحيويّ، يعتمد على دراسة مجموعة من الإحصاءات حول الأفراد.

كما تعرف على أنها " العلم الذي يختص بدراسة خصائص السكان المتمثلة في الحجم والتوزيع والكثافة والتركيب والأعراق ومكونات النمو: كالإنجاب والوفيات والهجرة، وكذا نسب الأمراض، والوضعية الاقتصادية والاجتماعية، ونسب الأعمار والجنس، ومستوى الدخل، وغيرها..."، وتعد هذه المعرفة ضرورية لتحديد الاحتياجات البشرية الحالية والمستقبلية، فبالإضافة إلى دراستها للتركيبة السكانية في منطقة معينة، فهي تحدد عوامل الزيادة أو النقصان وتفسرها، كما تقدر التوقعات المستقبلية للتغييرات والتطورات المحتملة.

ويشير **دنيس رونج WRORNG.D** إلى أن الديموغرافيا هي أحد العلوم الاجتماعية الحديثة التي يشمل ميدانها البحث في التغيرات التي تطرأ على السكان عاما بعد أخر من حيث عددهم ومعدل نموهم، توزيعهم في مختلف فئات العمر والجنس والحالة الزوجية، التعليمية وكثافتهم في مختلف أجزاء الدولة وتحركاتهم الداخلية (الهجرة من الريف إلى المدينة...) والخارجية والتنبؤ بمستقبل عددهم وتوزيعهم في الفئات المختلفة..."

كما أشار **لين سميث** بأن الديموغرافيا تتناول ظواهر الحجم والتوزيع والتكوين والتغير ، وتهتم بالحقائق التي يمكن التعبير عنها في صورة كمية لأن مادتها تقوم على الأرقام ، فهي تتوقف عند التحليل الإحصائي للسكان، الأمر الذي يجعل البعض يطلق عليها اسم **التحليل الديموغرافي**، حيث أنها تجري معالجات للعلاقات الكمية بين الظاهر الديموغرافية وتحررها من ارتباطها بغيرها من الظواهر.

وهناك من يعرف الديمغرافيا بمعنى أشمل، فيضيف إليها خصائص أخرى كالخصائص العرقية مثل: اللون (ابيض، اسود)، والجنس، والاجتماعية مثل الحالة الزوجية ومكان الولادة ومستوى التعليم، والاقتصادية مثل النشاط الاقتصادي والمهنة والدخل، وهناك من يذهب إلى ابعد من ذلك فيربط العمليات الديمغرافية بميادين أخرى مثل: المقارنة بين عدد السكان والموارد المتاحة، تحديد النسل، قوة العمل ومشاكل التحضر....

وبصفة عامة يمكن تعريف الديموغرافيا بأنها أحد العلوم الاجتماعية الحديثة التي تختص بالدراسات السكانية الكمية والكيفية، وهي لا تقتصر على حصر عدد السكان ووصفهم في فترة زمنية محددة فقط، بل تتجاوز ذلك إلى متابعة مختلف التغيرات المكانية والزمانية والنوعية الحاصلة والمحتملة بصورة محددة وواضحة انطلاقا من رؤية متعددة الأبعاد (اجتماعية، انسانية، اقتصادية، ثقافية...)

2) عوامل تطور علم السكان:

هناك عدد من العوامل التي أسهمت أو عجلت بظهور علم جديد يختص بالدراسات السكانية بعيدا عن علم الاجتماع ومختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، حيث هيأت هذه العوامل مجتمعة بيئة مناسبة لنشأة وتطور الديموغرافيا كعلم مستقل في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، يهتم بدراسة السكان ووصفهم وتتبع مراحل التغيرات الديموغرافية التي تطرأ عليهم والعوامل المؤثرة في ذلك، ومن أهم هذه العوامل:

- تطور ونمو السكان واختلاف توزيعهم وتركيبهم في العالم
- بروز ظواهر خطيرة مرتبطة بالنمو السكاني كالمشاكل البيئية، والصحية، وانتشار الأمراض والأوبئة، وتضخم المدن، والفقر والمجاعة، ونفاذ الموارد الطبيعية وغيرها...، ما يستدعي وجود دراسات سكانية يمكن الاعتماد عليها في الحد من هاته المشكلات.
- نمو وتطور حركات الهجرة داخليا وخارجيا
- الحاجة إلى معرفة أماكن الجذب والطرد السكاني وتحديد سياسات المستوطنات البشرية.
- الحاجة إلى بحوث سكانية دقيقة تبنى عليها مخططات وبرامج التنمية
- تقدم الدراسات الإحصائية التي يمكن أن تعتمد عليها البحوث والدراسات السكانية.

3) السياق التاريخي لتطور الديمغرافيا:

يعد التفكير السكاني قديم قدم تواجد الإنسان على سطح الأرض، فقد اهتم المفكرون والفلاسفة منذ القدم بدراسة أحوال السكان، وظهرت عدة اجتهادات فكرية ككتابات الفيلسوف الصيني كونفيشيوس، والفلاسفة اليونان على غرار أفلاطون وأرسطو، وعند العرب نجد إسهامات ابن خلدون عن العمران

البشري وغيرها...، وما يمكن قوله حول هذه الإسهامات أنها لم تستند إلى المنهج العلمي، بل كانت مجرد اجتهادات فكرية فردية تمخضت عنها آراء فلسفية ودينية وإصلاحية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ولم يكن لديها طرح متماسك يمكن أن يرقى إلى تأسيس نظريات علمية، ومع هذا فهي تدخل في إطار الإسهامات والتطبيقات السكانية التي مهدت للبحث العلمي في المجال السكاني.

وفي **عصر النهضة** اهتم الباحثون الأوروبيون كثيرا بموضوع السكان على غرار **جون كرانت Hohn Graunt** والذي هناك من يعتبره المؤسس الحقيقي لهذا العلم، حيث كانت له إسهامات كبيرة في هذا المجال وردت في مؤلفه **ملاحظات طبيعية وسياسية مبنية على قوائم الوفيات** سنة **1662**، حيث يعد أول من وضع إحصائيات ديموغرافية عن الوفياة، وأسبابها، كما وصل إلى مجموعة من التعميمات التي تخص المواليد والزواج والهجرة والوفاة وحدد العلاقة بينهم، إضافة إلى **ويليام بيتي William Petty** الذي تلاه في تناول مواضيع السكان، فتطرق إلى التنبؤ السكاني والتحضر والقوى العاملة وجداول الوفيات من خلال تطبيق الطرق الرياضية وذلك في كتابه **الحساب السياسي** سنة **1690**.

كما تناول الكثير من الكتاب الانجليز المعاصرين **لكرانت** القضايا السكانية، وأكدوا على أهمية استخدام مقاييس إحصائية في حل المشاكل الاقتصادية، إلى أن توصلوا لوضع **جدول أمد الحياة** في ذلك الوقت، باستخدام إحصاءات المواليد والوفيات، حيث كانت المرة الأولى التي يستخدم فيها مصطلح الحياة المتوقعة على يد العالم **ادموند هالي**، وفي عام **1798** نشر العالم **مالتوس** مقالته المشهورة **مقدمة في دراسة السكان** والتي تناول فيها العلاقة بين نمو السكان والموارد الاقتصادية.

وكذلك كان للعلماء الألمان والفرنسيين دور في تطور الدراسات الديموغرافية حيث يعد الألماني **جوهان سوسملش Johann Peter Susmilch** ثاني مؤسس للديموغرافيا بعد **جون كرانت**، وذلك من خلال مؤلفه **النظام الإلهي** سنة **1741** والذي يعد أول بحث شامل عن السكان، كما درس العالم الفرنسي **منتيون** النمو السكاني في فرنسا وأسباب تغيره عام **1778**.

أما من استعمل لفظ **الديموغرافيا** لأول مرة فهوالعالم البلجيكي **أشيل غيار** **Achille Guillard** في كتابه **مبادئ الإحصاء البشري أو الديموغرافيا المقارنة** علم **1855**، وعرفها فيه على أنها :التاريخ الطبيعي والاجتماعي للأنواع الانسانية" وهو بالمعنى الضيق الدراسة الرياضية للسكان من حيث تحركاتهم العامة وأحوالهم الفيزيقية والحضارية والفكرية والأخلاقية.

تم توالت بعد ذلك الدراسات السكانية في القرن التاسع عشر والتي كانت تواجه مشكلات كثيرة أهمها قلة البيانات، ما شكل عائقا كبيرا لمعالجة العديد من الظواهر السكانية، لكن ومع تطور علوم الإحصاء والعد السكاني أصبحت الطرق ممهدة للبدء في التحليل المنهجي للاتجاهات السكانية في بلدان العالم.

وجاءت فترة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين والتي حدثت فيها تطورات كبيرة في هذا المجال، منها محاولات لصياغة نظرية التحول الديموغرافي للسكان، ودراسة أسباب ونتائج النمو السريع، كما ازداد حجم الأبحاث السكانية، وأصبحت الديموغرافيا علما قائما بذاته يدرس في الجامعات والمعاهد، حيث أنشئت الكثير من المراكز الخاصة بالبحوث الديموغرافية حول العالم، كمعهد **بيو للدراسات والأبحاث المتعلق بالاتجاهات الديموغرافية** في **واشنطن، وشعبة السكان** التابعة **للأمم المتحدة**، والمركز **الديموغرافي** في **القاهرة** الذي تأسس عام **1963**.

4) أهمية الديمغرافيا:

تكمن أهمية الديموغرافيا في اهتمامها بدراسة تفاصيل التركيبة السكانية للمجتمعات البشرية، حيث تقدم صورة واضحة عن أوضاع المجتمع وخصائصه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها...، من خلال تسليط الضوء على عدد من المحاور أهمها:

الاسهام في توفير مرجعية معلوماتية حول الوضع السكاني والتي تشكل داعما مهما للعلوم الأخرى كعلم الاجتماع والاقتصاد والتنمية وغيرها....

- دراسة التغيرات في حجم السكان والتي تشمل الخصوبة والمواليد والوفيات والهجرة وعوامل الانتقال والتمركز الديموغرافي، والتي يتم من خلالها تحديد الإجراءات والسياسات المطلوبة.
- متابعة التغيرات التي تحدث في هيكلية السكان، وأثر ذلك على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتنموية.
- تقديم صورة مفصلة عن التركيبة السكانية للمجتمع، وأصولها، وطريقة تشكلها، والعوامل التي ساعدت على ذلك ما يساعد في تحديد الحاجات الحالية والمستقبلية للمجتمع، وكذا تفسير مختلف الظواهر والمتغيرات المرتبطة بهذه التركيبة.
- دعم وتعزيز قدرات البلدان من خلال توفير دراسات علمية دقيقة وواضحة عن المعطيات السكانية التي تعد القاعدة الأساسية التي تبنى عليها الرؤى الإستراتيجية التنموية لكل دولة.
- اقتراح خطط وبرامج عمل وآليات للتحكم في التطور السكاني بما يتناسب مع أولويات التنمية.

خلاصة:

إن المعرفة العامة بعلم السكان لا تعد كافية لفهم طبيعة البحوث الديمغرافية، فلا بد من وجود معطيات علمية واضحة عن أساسيات هذا العلم، وعوامل نشأته وتطوره عبر التاريخ، وأهميته بالنسبة للعلم والمعرفة الإنسانية، حيث تعد الدراسات السكانية القاعدة الأولى الممهدة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المختلفة، وهنا فقط يمكن الانتقال من المجال العام القائم على المعرفة بعلم السكان إلى المجال البحثي الديموغرافي.

المراجع:

1. إد أرابيا. (د ت). 6 معلومات أساسية عن علم الديموغرافيا. تمت زيارة الموقع بتاريخ: 2024/02/02، على الرابط: https://www.edarabia.com>
2. خضر، مجد. (26 أوت 2021) تعريف الديموغرافيا. تمت زيارة الموقع بتاريخ: 2024/02/02، على الرابط: https://mawdoo.com>
3. راشدي، خضرة. (2018/06/01). الديموغرافيا التاريخية، ماهيتها وأهميتها. مجلة مقدمات، المجلد 02(العدد 03).

4. السعد، هدى داود نجم. (د ت). محاضرات في الديموغرافيا. تمت زيارة الموقع بتاريخ:2024/02/02، على الرابط: <https://faculty.uobasrah.edu.iq
5. الكيلاني، مضر خليل عمر. (د ت). مفاهيم أساسية في الديموغرافيا. تمت زيارة الموقع بتاريخ: 2024/02/02ن على الرابط: <http://www.muthar-alomar.com
6. المنصة البيداغوجية لجامعة سطيف. (د ت). ماهية الديموغرافيا. تمت زيارة الموقع بتاريخ: 2024/02/02، على الرابط: <https://cte.univ-setif2.dz>tool
7. هنري، لوي. (2019). الديموغرافيا التحليل والنماذج. (ترجمة: شريقي، مدى). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات